



الأربعاء 7 يوليو 2021 01:12 م

أختي الحبيبة.. إذا سألتنا كل أخت منا ماذا تريدان أن تكوني؟! تقول أن أكون سعيدة في الدنيا والآخرة، وهذا بالطبع لا يتحقق إلا إذا فعلنا ما أمرنا الله به، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات)، فنحوّل حياتنا كلها عبادةً، فليست الصلاة والصيام والقرآن العبادة فقط، ولكن المأكل والمشرب والعمل والزواج وتربية الأولاد، وكل أمور حياتنا ننويها لوجه الله فإنها تصبح عبادة.

إذن لماذا نربي أبناءنا؟

لكي يكونوا من عباد الله المؤمنين الموحّدين الداعين إلى الله، ويكونوا هم وذرئتهم نصرًا للإسلام والمسلمين، ومع ذلك أيضًا فهم زينته في الحياة الدنيا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (46) ﴿الكهف﴾، فهم حقًا مصدر سعادة وبهجة في الدنيا، ولولا حلاوتهم ما جعل الله للوالدين حبًا لهم وصبرًا على رعايتهم ولكن بالقدر المناسب من الحب والرعاية دون تدليل يؤدي إلى المفسدة.

ولقد حدّرتنا- سبحانه وتعالى- من الفتنة في المال والأولاد، ومن أن يطغى حبُّهم إلى درجة انتهاك الأوامر الربانية، وأن يكونوا سببًا لغضب الله علينا؛ حيث قال: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (15) ﴿الطلاق﴾، فلنحدّر ولنعلم أن الباقيات الصالحات خير لنا عند ربنا، ولكن الله يعلم أنه ربما قد يشغلنا هذا الأمر، ولكن بشرط عدم طغيانه على أوامر الله ونواهيه، لذلك فإن الرسول- عليه الصلاة والسلام- يذكّرنا في حديثه؛ حيث يقول: "فتنة الرجل في أهله وماله وولده ونفسه وجاره يكفرها الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (رواه الشيخان والترمذي).

قبل أن نتحدث عن كيف نربي أبناءنا، وماذا نريد أن يكونوا، نتحدث عن فضل وأهمية وثواب تربية الأبناء كذلك عقوبة التقصير في تربيتهم.

فضل التربية وثوابها

إن حسن التربية حجاب من النار وسبيل إلى الجنة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَفُودَهَا النَّاسُ وَالْجَارَةُ﴾ (التحريم: من الآية 6) كما قال الرسول- صلى الله عليه وسلم-: "من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن وصبر عليهن واتقى الله فيهن دخل الجنة" وفي رواية وردت بواحدة.

قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: "ما نحل والد ولدًا من نحل أفضل من أدب حسن" والنحل: الهدية، فقد يظن بعض الآباء أن أفضل ما يقدمه هدية لأبنائه هو بعض المال الذي يذخره كي ينفقهم في حياتهم أو أن يدخلهم أفضل المدارس أو يلبسهم أفضل الثياب أو يلبّي لهم كل رغباتهم أو.. أو.. لكن الرسول- صلى الله عليه وسلم- يبين لنا أن أفضل هدية نمنحها لأبنائنا هي حسن الأدب الذي ينفقهم في دنياهم وآخرتهم، وإن توفرت الأمور الأخرى فلا بأس، ولكن الأدب هو الأهم.

كذلك قول الرسول- صلى الله عليه وسلم-: "لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع" فهو المال الذي يحفظ على الولد أدبه وحسن خلقه ويعينه على الخير، فيبقى معه الأدب ببقائه وينصلح المجتمع به، فهذا خير من الصدقة التي تسدّ حاجة الجائع لفترة قصيرة، وهذا لا يعني ألا نتصدّق، ولكن نبهنا إلى أهمية تاديب الأبناء وإذا تعدّر

معه المال فالنأديب الحسن أولى.

كذلك قول الرسول- صلى الله عليه وسلم:- "تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإنني مباء بكم الأمم يوم القيامة" فهذا حديثٌ يحثنا على أن نكون مصدرَ سعادة للرسول- صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة؛ حيث يباهي بنا الأمم يوم القيامة فلنجهت لنحسن تربية أبنائنا لنستحق المباهاة ونسعد بسعادة الرسول- صلى الله عليه وسلم- بنا يوم القيامة.

يقول حبيبننا- صلى الله عليه وسلم:- "أفضل الدينار دينار ينفقه الرجل على عياله، ودينار ينفقه على دابته، ودينار ينفقه على أصحابه"، فأفضلهم الذي يُنْفِقُهُ على عياله ليحفظهم من الضياع ويسلِّحهم بالأدب والأخلاق.

وأيضًا قوله- صلى الله عليه وسلم:- "إن من الذنوب ما لا يكفره إلا السعي على الرزق" وهذا من أجل سدِّ حاجة عياله وأهله.

الأبناء سببٌ سعادة لنا بعد وفاتنا وسببٌ لرفع الدرجات؛ لحديث الرسول- صلى الله عليه وسلم:- "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له".

استشعار الثواب العظيم من الله- سبحانه وتعالى- في حسن تربيتنا لأبنائنا؛ لحديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- : "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حمر النعم" فما بالك إذا هدى الله لك 3،4،5... من الأبناء؟!

حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- فيما معناه: مثل الحامل كالصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا ينام، فإذا وضعته كان لها كفارة عام، فإذا أرضعته كان لها بكل حسوة حسنة، والحسوة أدق من الفطرة، فإذا سهرت عليه ليلة في رضى ناداها الله عز وجل من فوق سبع سماوات، وقال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17)﴾ (السجدة)، فإن استشعار هذا الأجر والثواب يؤثّر كثيرًا في تحمُّل الأمهات لتربية أبنائهن لما فيه من الأجر الكبير.. فهل شعرنا بنعمة الأبناء؟! وتتم هذه النعمة بسلامة أبدانهم وصلاح قلوبهم.. فهل شكرنا الواهب؟!

خطر الإهمال

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَفَّوهُمْ إِيَّاهُمْ مَسْئُولُونَ (24)﴾ (الصفات) وأيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (التحریم: من الآية 6)، ويقول حبيبننا- صلى الله عليه وسلم:- "كفى بالمرء إثمًا أن يصيغ من يعول" والمراد بالضياع هنا عدم حسن تربيتهم التربية السليمة وفي ذلك ضياع دينهم وعقولهم وقلوبهم، ولا يبقى إلا الجسد الذي يغدَى وكفى، وضياعهم بتركهم للرفقة السوء وبتاركهم أمام التلغاز يبث فيهم من سمومه دون رقيب، وضياعهم بكثرة انشغال الأم والأب عنهم وعدم الجلوس معهم والإحساس بالترابط الأسري، فالأبناء في هذه الحالة يصبحون كالأيتام، وصدق الشاعر إذ يقول:

ليس اليتيم من تركه أبواه في هم الحياة وخلفاه ذليلا

إن اليتيم هو الذي تلقى له أمًا تخلت أو أبًا مشغولا

أبناؤنا.. أمانة سنحاسب عنهم كما أخبرنا الرسول- صلى الله عليه وسلم:- "إن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ أم ضيع، حتى الرجل يُسأل عن أهل بيته" كذلك: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" و"أعينوا أولادكم على البر ومن شاء استخرج العقوق من ولده" و"وكما تدين تدان" إذا قصرتنا في حقهم فسوف يفضرون في حقنا عند الكبر.

مثال الرجل الذي جاء يشكو إلى سيدنا عمر بن الخطاب عقوق ابنه، فقال له هل أحسنت اختيار أمه؟ قال: لا.. فقال: هل أحسنت اسمه؟ قال: لا.. فقال له: هل حفظته شيئًا من القرآن؟ فقال: لا.. فقال له عمر: لقد عقفته قبل أن يعقك.

فهل استشعرتنا مدى الأمانة والمسئولية التي على أعناقنا!! وهذا يتطلّب منا بذل جهد أكبر في تربية أبنائنا.

ما الذي نريده في أبنائنا؟!

نريد أن يكون لدينا الفرد المسلم الذي منه الأسرة المسلمة فالمجتمع المسلم، وهذا الفرد المسلم نريده: سليم العقيدة، صحيح العبادة، منقف الفكر، متين الخلق، قوي البدن، قادرًا على الكسب، منظمًا في شئونه، مجاهدًا لنفسه، حريصًا على وقته، نافعًا لغيره، وهذا لا يكون إلا بالتربية الإسلامية السليمة على يد مرتين يفهمون هذه المعاني جيدًا ويتحلون بالصفات التي يتحلّى بها المرابي، ويبذلون أقصى جهد في تربية أبنائهم، وهذا ما سنتحدث عنه في المرة القادمة إن شاء الله.